

علوم القرآن وإسهاماتها في تأصيل الدرس البلاغي لدى علمائنا القدامى والمحدثين

The Sciences of the Quran and Their Contributions to the Establishment of Rhetorical Studies by Our Ancient and Modern Scholar

يوسف قسوم^{1*}

¹ جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي (الجزائر).

تاريخ الاستلام: 28 جويلية 2024 : تاريخ المراجعة: 15 أكتوبر 2024 : تاريخ القبول: 30 ديسمبر 2024

ملخص:

في هذا المقال طرحت إشكالية مفادها: ما مدى إسهامات علوم القرآن في تأصيل الدرس البلاغي؟ وما مدى إسهامات المباحث البلاغية في تأصيل تلك العلوم القرآنية؟ ومن بينها علم البلاغة وعلوم القرآن. وكيف كانت متنوعة الرؤى والأفكار والاتجاهات والصور كقضية اللفظ والمعنى وقضية الصيغ البديعية ومكانتها وقضية الإيجاز والإطناب والكناية والمجاز في القرآن وعلم البيان عند أرباب البلاغة كمثل عبد القاهر الجرجاني والسكاكي، تطرقت إلى قضية مطروحة منذ القدم تتمثل في الدعوة إلى التجديد وكانت هناك جهود معتبرة من حيث العرض والتقرير، الترجيح، المخالفة والاعتراض.

تكلمت كذلك جهود العلماء في تأصيل الدرس البلاغي الذين تنوعت أفكارهم، فمنهم من يستمد الآراء والمناهج من التراث ويستنبط منها القواعد البلاغية ويطورها لإثراء الدرس البلاغي، ومنهم من يخالف بعض القواعد الموروثة، ومنهم يُطعّم الموروث القديم بالنظريات المعاصرة، بل يُطعمها بما جاء في لسانيات النص والأسلوبية التي يعتبرها بعضهم الوريث الشرعي للبلاغة العربية الأصيلة. وقفت أيضاً عند بعض أعمال المجددين كالدكتور العماري وأمين الخولي وأنيس المقدسي. وذيلته بجانب تطبيقي أراه خادماً للجانب النظري.

الكلمات المفتاحية: علوم القرآن، الدرس البلاغي؛ التأصيل؛ الحداثة والمعاصرة.

Abstract:

This article explores the contributions of Quranic sciences to the foundation of rhetorical studies and vice versa. It examines diverse perspectives on issues like the relationship between word and meaning, rhetorical forms, brevity, and metaphor in the Quran. Scholars such as Abdul Qahir al-Jurjani and al-Sakkaki are highlighted for their work in this field. The article also addresses the long-standing call for renewal in rhetorical studies, noting efforts in presentation, preference, opposition, and objection.

Furthermore, it discusses scholars' varied approaches to establishing rhetorical studies: some derive rules from tradition, others challenge inherited rules, and some integrate contemporary theories, blending them with classical Arabic rhetoric. The works of reformers like Dr. Al-Omari, Amin Al-Khouli, and Anis Al-Muqaddasi are also highlighted. The article concludes with an applied section that complements the theoretical discussions.

Keywords: Quranic Sciences; Rhetorical Studies; Establishment; Modernity; Contemporaneity.

*Corresponding author: e-mail: gyoucef690@gmail.com.

1- المقدمة

المصطلحات هي مفاتيح العلوم وبما أن شرف العلم يحصل بشرف المعلوم، وشرف المعلوم عندنا وعند آبائنا وعند الأجيال القادمة -بإذن الله- هو القرآن الكريم كلام الله رب العالمين، الذي كان سببا مباشرا في نشأة العلوم الدينية، بل حتى العلوم الكونية يوم كان المسلمون يحكمون العالم، وكان القرآن المرجع والمصدر والنور والشفاء والهدى، والقرآن المتفق عليه بين العلماء والأصوليين: "هو كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بوساطة الأمين جبريل -عليه السلام- المكتوب في المصاحف المحفوظ في الصدور المنقول إلينا بالتواتر المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس" (أمين، 1975، صفحة 11)، والحديث عن القرآن الكريم مجلدات الدنيا، قاطبة لأن مصدره مشكاة رب العالمين ولا عجب أن نجد علماءنا القدامى والمعاصرين بمختلف مناهلهم وتياراتهم ومدارسهم قد أفنوا أعمارهم في خدمته كونه الكلام الأسى والشجرة الطيبة والقاعدة الصلبة التي انطلقت منها علوم القرآن التي بدورها انطلقت منها علوم اللغة وشهد العالم على مر القرون حركة تأليف انتجت مصنفات في جميع العلوم القرآنية واللغوية لم يشهد لها التاريخ مثيلا.

لقد فهمه العرب ودخل في وعيمهم على أنه كل لا أجزاء، والأقوال حوله كثيرة، وفي مقالتي هذا أحاول أن أعرج، بل أقرب شيئا فشيئا من بلاغته وفصاحته وما دار في هذا المضمار خاصة علاقته بالدرس البلاغي وكيف استنبطوا منه علوم البلاغة "نظر العلماء والكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم وحسن السياق والتلوين في الخطاب والتقطيع فاستنبطوا منه المعاني والبيان والبديع" (السيوطي، 1985).

ولقد عشقه العلماء حتى الصباية والهيام وراحوا يتنافسون في مضامينه وأساليبه ومعانيه وبدائعه كونه أثرا من الآثار الإلهية: "إنما هو أثر من الآثار الإلهية فهو مبني على وفرة الإفادة وتعدد الدلالة وجمله لها دلالتها الوضعية التركيبية التي يشاركها في الكلام العربي كله" (عاشور، 1984)، وهذا العلامة الرافعي -رحمه الله- يقول عنه: "وللقرآن وجه اجتماعي من حيث تأثيره في العقل الإنساني، وهو معجزة التاريخ العربي الخاصة، ثم هو بآثاره النامية معجزة أصلية في تاريخ العلم إلى ما شاء الله" (الرافعي، 1973).

كذلك يحسن بنا قبل أن نشعر في إسهامات علوم القرآن في تأصيل الدرس البلاغي الأصيل أن نقف عند معنى علوم القرآن والبلاغة وما يتعلق بهما لنحافظ على مبدأ التدرج والانتقال من البسيط إلى المركب ومن المجهول إلى المعلوم وكما هو معلوم أن علوم القرآن شمل كل علم يتصل بالقرآن ويستند إليه مثل علم التفسير وعلم أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وعلم إعراب القرآن وعلم القراءات وعليه نكتفي ببعض التعاريف >> علوم القرآن، هو لفظ مركب إضافي وله جزاءان: مضاف وهو علوم ومضاف إليه وهو قرآن ويعرف بأنه جميع العلوم والبحوث التي تتعلق بالقرآن أو كل ما يتصل بالقرآن >> (بابل، 2018، صفحة 118).

وكذلك نجد تعريفاً آخر منها: >> مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من حيث نزوله وترتيبه وجمعه وكتابته وقراءته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه، ومكية ومدنية ودفع الشبه عنه ونحو ذلك << (الزرقاني، صفحة 27).

وكذلك نجد تعرفه عند المعاصرين لا يختلف كثيراً عن القدامى، وعلوم القرآن بدأوا التأليف فيها مبكراً في العصر الذهبي الإسلامي حيث >> ألفت الكتب في علوم القرآن بداية من التأليف في علم التفسير في عصر التابعين، مثل: تفسير مجاهد وتفسير مقاتل وتفسير شعبة بن الحجاج وسفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، ثم تلاهم الطبري الذي أنهى كتاب تفسيره سنة 270 هجري << (بابل، 2018).

وأما تاريخ علوم القرآن فمر بمراحل منها عهد ما قبل التدوين حيث كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه -رضوان الله عنهم- عرباً خالصاً يعرفون علومه معرفة مباشرة دون ترجمان، ولم يكونوا بحاجة إلى الكتابة والتبويب لأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين أظهرهم يرتل على مسامعهم ويكشف معاني و أسرار الوحي من ربه لهم، مع كونهم يتصفون بقوة الذاكرة وتذوق البيان والأساليب إضافة إلى انتشار الأمية و قلة الوسائل، ومع ذلك حفظوه وفهموه وعملوا بما جاء فيه ونشروه في أصقاع الدنيا، ثم جاءت مراحل بعد ذلك دون فيها القرآن وفي هذا الشأن نورد ما قاله مصطفى ديب البغا: "بدأ تدويل علوم القرآن منذ جمع القرآن في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان -رضي الله عنه- في مصحف واحد وعلى حرف واحد للقرآن ثم تنقيط الحروف ووضع أساس علم النحو العربي في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- بعد أن أمر أبا الأسود الدؤلي أن يضع بعض القواعد لحماية القرآن من العجمة واللحن، وفي عصر الدولة الأموية أسهم عدد من الصحابة والتابعين في وضع أساس لعلم التفسير، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم غريب القرآن" (البغا، 2018)

ونذكر بعض المؤلفات في بداية التأليف إلى المؤلفات المعاصرة كما أحصاه مصطفى ديب البغا في كتابه الواضح في علوم القرآن، خاصة عندما ظهر مصطلح علوم القرآن وأول من كتب فيه: أبو الحسن الحوفي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" ثم ألف ابن الجوزي كتابين "فنون الأفنان في عيون علوم القرآن" والمجتبى في علوم تتعلق بالقرآن" ثم جاء السخاوي في القرن السابع الهجري وألف كتابه "جمال القراء" وغيره وصولاً إلى الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن" ثم ابن تيمية في كتابه "رسالة في أصول التفسير" وصولاً إلى السيوطي في كتابه "إتقان في علوم القرآن" وغيرهم من المؤلفين -رحمهم الله-.

ونذكر من المؤلفات المعاصرة: التبيان في علوم القرآن لطاهر الجزائري، و"منهج الفرقان في علوم القرآن" لمحمد علي سلامة و"الواضح في علوم القرآن" لمصطفى ديب البغا وكتاب مباحث في علوم القرآن لمساعد الطيار..... وغيرهم كالتصوير الفني في القرآن لسيد قطب -رحمهم الله- والتفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي، ودراسات في علوم القرآن لفهد الرواي -رحمهم الله- هؤلاء العلماء الذين نحسبهم خدموا كتاب

الله واعتنوا به وذادوا عنه وتركوا بصماتهم والمقام لا يسعني لذكر الجميع، بل هناك من العلماء من ذهب أعمالهم مع حملات التتار والصليبيين وذهبت كذلك مع سقوط الأندلس الذين أجادوا وأفادوا في جميع العلوم القرآنية واللغوية والبلاغية -عليهم رحمة الله جميعاً-.

بعد هذه المداخلة حول علوم القرآن التي رأيتموها ضرورة يحسن بي أيضاً أن نتعرف على الدرس البلاغي وأرباب البلاغة وعلى إسهامات القرآن في نشأة هذا العلم المبارك. والبلاغة لها مكانة خاصة عند المسلمين وعند العرب الذين نزل القرآن بلغتهم فهو كما يقول مازن مبارك عنهم: "سمع العرب آيات الكتاب المبين فدهشوا لما عرفوا فيه من أساليب البلاغة، وثاروا في تعليل دهشتهم وأعجابهم، وهم أهل اللغة وأرباب البلاغة، لقد سمعوا لغة من لغتهم وجملاً من حروفهم لم يسمعوا قبلها مثيلاً لا نثر ناثراً ولا في شعر شاعراً ولا في سجع كاهن" (المبارك، الصفحات 34-35)

والبلاغة نشأت تحت راية القرآن كما يقول مازن مبارك: "نشأت البلاغة وترعرعت تحت راية القرآن والبحث في إعجازه وهذا البحث هو الذي وصل بها إلى أن تصبح علماً مستقلاً يخص بالتأليف، بل لقد ظلت البلاغة بعد نضجها واستقلالها أيضاً عالقة بفكرة إعجاز القرآن والدفاع عنها" (المبارك، صفحة 48) كما نجد شاهدة للعلامة علي جميل يقول فيها "يجمع العلماء على أنه بفضل الكتاب العزيز نشأت علوم البلاغة التي أمدتها النص القرآني بفيض من الأمثلة البديعة في محاسن الكلام وبدائع النظم (جميل، صفحة 135).

2- الدرس البلاغي وعلاقته بعلوم القرآن

بداية يجب أن نتعرف على البلاغة وأقسامها وفائدتها ومباحثها وعلاقتها بعلوم القرآن.

أ- البلاغة لغة

جاء في البيان العربي لابن منظور مادة "بلغ" بمعنى بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً، وصل وانتهى والبلاغة، الفصاحة، والبلغ والبلغ من البليغ من الرجال ورجل بليغ وبلغ: حسن الكلام فصيحاً، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه، وأجمع البلغاء، وقد بلغ بالضم بلاغة أي صار بليغاً، وقول بليغ بالغ وقد بلغ (منظور، 2010)

ب- اصطلاحاً :

تقع البلاغة في الاصطلاح، وصفاً للكلام، والتكلم فقط دون الكلمة لعدم السماع. "والبلاغة في الاصطلاح يختلف معناها باختلاف موضوعها وهو الكلام المتكلم، يقال هذا كلام بليغ، وهذا متكلم بليغ، ولا توصف بها الكلمة فلا يقال هذه كلمة بليغة" (العدوس، صفحة 48)

كذلك نتعرف على مقتضى الحال لأن البلاغة في الكلام هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحة ألفاظه ومفرداتها ومركبها والحال (المقام) هو الأمر الذي يحمل المتكلم على أن يورد كلامه في صورة خاصة، فالمدح مثلا: يدعوا لإيرادها على صورة الإطناب، وذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز فكل من المدح والذكاء حال ومقام، وكل من الإطناب والإيجاز مقتضى ومقتضى الحال: هو تلك الصورة الخاصة التي ورد عليها كلام المتكلم ومطابقته الكلام لمقتضى الحال هي اشتماله على هذه الصورة الخاصة وإيراد الكلام على صورة الإطناب أو الإيجاز مطابقة للمقتضى" (العدوس، صفحة 48)

أما عندما نتكلم عن بلاغة المتكلم فهي: "ملكة في النفس يقتدر صاحبها بها على تأليف كلام بليغ مطابق لمقتضى الحال مع فصاحته في أي معنى قصده" (الهاشمي، صفحة 31)

من المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي نستنتج أن علم البلاغة هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال وكذلك تقوم على الدعائم الآتية:

- 1- اختيار اللفظة الواضحة الجزلة والمعنى الجليل.
- 2- حسن التركيب وصحته.
- 3- اختيار الأسلوب الذي يصلح للمخاطبين مع حسن ابتداء وحسن انتهاء.
- 4- التأثير" (العدوس، صفحة 48)

وبعد هذه التعاريف الموجزة بودي أن أسقطها على القرآن الكريم، فشخصيا وقبل أن أغوص مع العلماء والأدباء في مجال أسهامهم في علوم القرآن في الدرس تأصيل الدرس البلاغي العربي أجد أن الفاضل القرآن الكريم من بدايته إلى نهايته واضحة جزلة ومعناها جليل، وتراكيبه حسنة للمخاطبين وصحيحة وأساليبه مختارة بدقة وعناية صالحة للمخاطبين مع حسن ابتداء وحسن انتهاء وللعلماء صولات وجولات من بداية نشأة علم البلاغة إلى يومنا هذا وكذلك للقرآن تأثير عالٍ عجيب في نفوس القراء والمخاطبين.

- كذلك لتتعرف على أقسام علم البلاغة:

حيث قسمها العلماء إلى ثلاثة علوم؛ العلم الأول: ما يحتز به عن الخطأ في تأديته المعنى الذي يريده المتكلم لإيصاله إلى ذهن السامع وسمي علم المعاني، أما العلم الثاني فهو ما يحتز به علم التعقيد المعنوي أي، على أن يكون الكلام غير واضح الدلالة على المعنى المراد ويسمى علم البيان وأما العلم الثالث فهو علم البديع وهو ما يراد به تحسين الكلام وعلم البديع تابع لهما إذ بهما يعرف التحسين الذاتي وبه يعرف التحسين العرضي والسؤال المطروح: هل علماء البلاغة طبقوا هذا العلم على ما جاء في القرآن؟ ما النتائج التي توصلوا إليها؟

ونشر بداية بعلم المعاني: " هو أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سبق له " (محمد و مكي الدين ، 2008 ، صفحة 89)

وأول من دون قواعد هذا العلم الشيخ عبد القاهر الجرجاني، حيث هذب مسأله وأوضح قواعده وقد وضع فيه بعض الأدباء والنقاد قبله نتفا كالجاحظ، وأبي هلال العسكري، إلا أنهم لم يصلوا إلى ما وصل اليه الجرجاني. ثم يبقى السؤال مطروحا، ما فائدته؟ ما علاقته بالقرآن الكريم؟ هل علمائنا طبقوه على قرآننا وكلام ربنا عندما نقف على فائدته نجد أن " الوقوف على إعجاز القرآن الكريم، من جهة ما خصه الله به من جودة السبك وحسن الوصف وبراعة التركيب ولطف الإيجاز وما اشتمل عليه من سهولة التركيب ولطف الإيجاز وعذوبة ألفاظه وسلامتها إلى غير ذلك من محاسنه التي أقعدت العرب عن مناهضته وحارت عقولهم أمام فصاحته وبلاغته.

- الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في منشور للأمة العرب ومنظومه كي يحتذى حذوه وتنسج على منواله وتفرق بين جيد الكلام ورديئه... (الهاشمي، صفحة 38)

ودائما أحاول أن أعقب على القاعدة وأسقطها على القرآن فقارئ القرآن المنصف المتدبر العليم ببعض ما جاء في هذا العلم فما بالك بالعالم يجد القرآن معجزاً بألفاظه ومعانيه جيّد السبك متصف بكل صفات الجمال والجلال من حيث الوصف وبراعة التراكيب ولطف الإيجاز وجزالة الكلمات وعذوبة الألفاظ ويكفي في ذلك شهادة أرباب البلاغة العربية قبل أن ينشأ هذا العلم فالشعراء والبلغاء من قريش وقفوا حائرين مدهوشين بل خروا ساجدين أمام بهائه وروعته كما ورد في بعض السير والتراجم بل زعيمهم الوليد بن المغيرة الذي قال قولته الشهيرة " إنّ له لحلاوة وإن عليه لطلاوة " أشهد أنه ليس يقول البشر " ولكن الجحود والكفر والتعلق بالدنيا حجب عقولهم وعواطفهم عن النزول من القصور العاجية إلى الايمان بما أنزله الله عز وجل على رسوله محمد عليه الصلاة والسلام.

كذلك قبل أن نختم الكلام حول علم المعاني أذكر مبحثاً من مباحث هذا العلم قسمها العلماء الى ثمانية مباحث هي 1-الخبر 2-الإنشاء 3-أحوال المسند 4-أحوال المسند اليه 5-أحوال متعلقات الفعل 6-القصر 7-الفصل والوصل 8-الإيجاز والإطناب. وقد ألف العلماء في هذه الأقسام مؤلفات لا تحصى ولا تعد حول القرآن والأحاديث وكلام العرب المنظوم والمنثور والمكتبات زاخرة بذلك.

أ- علم البيان: وهو أصول وقواعد يُعرف بها إيراد المعنى الواحد لطرق يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى ... (الهاشمي، صفحة 203)

"وواضع هذا العلم هو أبو عبيدة الذي دَوّن مسائل هذا العلم في كتابه المسوّى "مجاز القرآن" وما زال ينمو شيئاً فشيئاً، حتى وصل إلى الإمام عبد القاهر. رحمه الله . فأحكم أساسه وشيّد بناءه ورتب قواعده وتبعه الجاحظ وابن المعتز وقدامة وأبو هلال العسكري." (الهاشمي، صفحة 204).

وفائدته: >> الوقوف على أسرار كلام العرب منظومة ومنثورة، ومعرفة ما فيه من تفاوت في فنون الفصاحة والبلاغة التي يصل بها إلى مرتبة عالية>> (العدوس، صفحة 143)

ودائماً نطرح الأسئلة، هل هذا العلم الذي تأسس انطلاقاً من القرآن كانت له ثماره في الوقوف على أسرار معجزة القرآن مقارنة بأسرار كلام العرب الذي تحدّاهم القرآن، ونقول وبالله التوفيق وباختصار وحسب ما قرأته لعلمائنا الأجلاء أن فائدة هذا العلم كانت باهرة، وأنت أكلها من القرون الأولى إلى عصرنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لقد توصل العلماء إلى إنشاء نظريات من نظرية "النظم" للشيخ عبد القاهر الجرجاني إلى نظرية أو مدرسة البيان أو التبيين للجاحظ كما سماها محمد الصغير بناني العلامة الجزائري - رحمه الله - في كتابه المدارس اللسانية العربية حيث يقول: >> وقد أحاط الجاحظ في كتابيه بجوانب لسانية لم تدرك أهميتها إلا الآن بعد الرجوع إلى الدراسات الحديثة كما سنراه معه في نظرية المشكلة وتحليله لمفهوم المشكلة مكنه من الانتقال إلى درجة أعلى من البلاغة التي ينتهي دورها في مطابقة الكلام لمقتضى الحال>> (بناني، صفحة 12). وأكد محمد الصغير بناني على أن الجاحظ غير وجهه النظر بالانتقال من اللفظ إلى الدلالات الأخرى الإشارة والعقد والكتابة والنصية لينتقل من الدلالات اللفظية إلى الدلالات الأخرى كالإشارة والنصية والعقد والكتابة... كما تكلم - رحمه الله - عن مدرسة النظم عند الجرجاني ليصل إلى نظم القرآن في تراكيبه الصوتية والدلالية والنحوية والبلاغية والأسلوبية والغيبية والإعجازية ... وهو في كتابه يحدثنا عن النظم الذي يعني تأليف الحروف والكلمات والجمل تأليفاً خاصاً يسمح للمتكلم والسامع أن يرتقيا بفضل بديع التراكيب إلى مدارك الإعجاز في المعاني وهذا ما قلته في البداية عندما تكلمت عن علم المعاني ... كما تطرق في كتابه إلى مدرسة السكاكي أو ما سماها باللسانيات الشمولية ويقول عن السكاكي - رحمه الله - المتوفى 626 هجري الذي ألف كتاب مفتاح العلوم في البلاغة الذي صار مرجعاً للدّارسين والسكاكي تناول على حد تعبير محمد الصغير بناني جميع القضايا اللسانية والبلاغية والأسلوبية والشعرية بما في ذلك الجوانب الإعجازية في القرآن الكريم كما لخص السكاكي المعاني البلاغية في التراكيب الخاصة: 1- علاقة الكلام بالأسلوب 2- علاقة الكلام بالحال 3- علاقة الكلام بالزمان 4- علاقة الكلام بالسياق 5- علاقة الكلام بالأشخاص 6- علاقة الكلام بمقتضى الظاهر 7- علاقة الكلمات ببعضها البعض داخل الجملة 8- علاقة الكلام بالرتبة 9- علاقة الكلام بكمية الألفاظ والمعاني 10- علاقة الكلام بالذكر والحذف 11- علاقة الكلام بالتنكير والحذف.

ويواصل محمد الصغير - رحمه الله - كلامه الشيق حول السكاكي بقوله: >> وقد انتقل السكاكي من هذه التراكيب البلاغية إلى معنى التوليد وهو تصور آخر عجيب حيث جاءه من القرآن أولاً ثم تصوره للتراكيب تصوراً كيميائياً ويقول أيضاً: >> أما القرآن فقد وجد السكاكي في قوله تعالى: رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي - صدق الله العظيم - منطلقاً للبحث عما يسميه بأصل المعنى وأصل المعنى في الآية هو >> يا ربي قد شخت>> حيث تركت هذه المرتبة لتوحي مزيداً من التقرير إلى تفصيلها في >> ضعف بدني وشاب رأسي>> ثم لطلب شمول الوهن قال >> إني وهن العظم مني>>

كما تعرض -رحمه الله- الى العلامة ابن خلدون وتكلم عن اللسانيات الارتقائية وتحدث عن مؤلفه البلاغة والعمران وأكد عن حقيقة ما قاله عن حقيقة الكلام البشري فاللسان والإنسان في القرآن وجهان لعملة واحدة، وهذا رسم هيكلي ارتقائي عن كتاب البلاغة والقرآن.

شجرة البلاغة والعمران

-العلمي	- الشعر
-الصناعي	- الأسلوب
-الحضري	- البلاغة
-السياسي	- النحو
-البدوي	- متن اللغة

البلاغة والعمران

ويؤكد على حقيقة أنّ القرآن مجاله الوحي وصرحه الإعجاز.

وبالعودة الى علم البديع، الذي هو >> العلم لذي يعرف الأديب به وجوه تحسين كلامه يعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، ورعاية وضوح الدلالة على ما يريد التغيير عنه << (قليلة، صفحة 285)

ونستنتج من هذا التعريف أن علم البديع نتعرف من خلاله على وجوه ومزايا حسن الكلام وطلاوته وجودته وافادته، وما يكسوه من بهاء ورونق مع شرط أن يطابق مقتضى الحال ووضوح الدلالة على المراد المبتغى وقبل أن نتعرف على دوره في كتاب الله نتعرف على واضعه وواضعه هو >> عبد الله بن المعتز بن المتوكل المتوفي سنة 296 هجرية وقد استقصى ما في الشعر من محسنات وألف كتاباً سماه (البديع) ذكر فيه سبعة عشر نوعاً من أنواع البديع << وقد توالى التأليف بعد ابن المعتز، حتى وصل عدد المحسنات البديعية، عند عبد الغني النابلسي في بديعته الى مئة وستين نوعاً << (العدوس، صفحة 237)

وعندما نتكلم عن علم البديع وبلاغته في ضوء القرآن الكريم فقد ورد كثيراً في سوره وآياته وقد اكتشف العلماء والأدباء جماليات المانع مع ما لديه ممّا دلالات بلاغية، وكان للعلماء دور كبير في تقسيم محسناته الى محسنات بديعية معنوية مثل: التورية والطباق بنوعيه الإيجاب والسلب والطباق والمطابقة والتطبيق والتضاد والتكافؤ، مسميات لمسمى واحد والمقابلة وحسن التعليل وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح والكلف والنشر (الطي والنشر) والإرصاد (التسليم) والتقسيم وتجاهل العارف أو

المبالغة ومراعاة النظير وتشابه الأطراف والتوجيه والاستخدام والمشاكل والرجوع والعكس (التذييل) وحسن التعديد

أما المحسنات البديعية اللفظية فهي كثيرة نذكر منها الجنس بنوعيه التام والناقص (غير التام) والافتباس والتضمن ورد العجز على الصدر، والسجع بنوعيه طويل وقصير وقد حفل القرآن بذلك، وسماه الجاحظ الفاصلة للتفريق بين القرآن وسجع الكهان كما نجد التصريح الترصيع والموازنة والتشطير والتشريع والمماثلة ولزوم ما يلزم ولسنا في هذه المداخل بصدد تعريف الفنون وأقسامها ولكن تركيزنا على جهود العلماء من القدامى والمحدثين في تأصيلها فمثلا عند التطرق الى السجع فقد ذكر الخطيب القزويني في الإيضاح أن السجع هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد وهذا معنى قول السكاكي: الأسجاع من النثر كالقوافي في الشعر، وهو ثلاثة أضرب مطرف ومتواز وترصيع، لأن الفاصلتين إن اختلفتا في الوزن فهو سجع، كقوله تعالى >> ما لكم لا ترجون لله وقارا (13) وقد خلقكم أطوارا (14) سورة نوح

قلت وما يعيننا هو تأصيل علم البلاغة ودور العلماء في ذلك وكيف انتقل العرب من تأثير النشاط العقلي الذي حركه الإسلام الى تعليل الظواهر وتأسيس العلوم بل استثمار القرآن في إقامة حضارة عظيمة وصيانة لغتنا العربية الجميلة، والعرب اعتنوا أيما عناية في البحث في أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز وبينوا حدودها وعللوا لوجودها وحددوا أصولها وفصلوا عناصرها وحللو أساليبها وصنفوا أبوابها وفنونها بل كشفوا تألقها وتأنقها في القرآن. فجزى الله عنا علماءنا كل خير لما بنوه من جهود في تأصيل البلاغة. كجهد عبد القاهر الجرجاني واضع علم البيان في دلائل الإعجاز ومؤسس علم البيان في أسرار البلاغة ونظرية النظم كافية شافية.

3- تاريخ البلاغة: ملخص حول تاريخ البلاغة وعلاقته بعلوم القرآن حسب ما ورد عند أبي العدوس وغيره من العلماء

حاول العلماء أن يبينوا مزية القرآن الذي رفع منزلة البلاغة فوق منزلتها بداية من القرن الأول الهجري فبحثوا عن مصادر الحسن والروعة في الآيات وتطور الأمر إلى أن وصل إلى البحث عن أسرار القرآن وإعجازه، وإقامة الأدلة العلمية، وكان للمعتزلة دور كبير في نشأة علوم البلاغة فاشتهر منهم "النظام" الذي فاق أبناء عصره وكذلك ثمامة بن الأشرس وواصل بن عطاء وصولاً إلى بشر بن المعتمر في البيان والبلاغة. ومع القرنين الثاني والثالث الهجريين ظهر على الساحة علماء كبار من مثل أبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 209هـ) وهو تلميذ الخليل بن أحمد واشتهر بوضع كتاب سمّاه (مجاز القرآن) والعلامة البحر "الجاحظ" (ت 255هـ) الذي اشتهر بكتابه "البيان والتبيين" حيث تحدّث فيه عن الفصاحة والبلاغة والطبع والصنعة، كما نجد من ألف في البديع كأبي العباس عبد الله بن المعتز بن المتوكل (ت 296هـ). وبهنا الأعلام الذين اهتموا بالدرس البلاغي في القرآن كممثل قدماء بن جعفر (ت 337هـ) وأضاف أنواعا جديدة كالتقسيم والترصيع والترشيح والإيغال، وجاء أبو هلال العسكري (ت 395هـ) وتحدث عن الإيجاز والاطناب والتشبيه والسرقات الشعرية والسجع والازدواج

وأضاف بعض أنواع البديع، والحديث عن القرآن الكريم سيوقفنا عند (الباقلائي) (ت 403هـ) مؤلف إعجاز القرآن وعرض لتبيان جوانب الإعجاز البياني في القرآن الكريم ووقف عند أنواع بلاغية كالاستعارة، وحسن التشبيه والغلو، والكناية والتجنيس والمساواة. ثم جاء الشريف الرضي (ت 406هـ) وألف كتابين مهمين "تلخيص البيان عن مجازات القرآن" و "المجازات النبوية" وتحدث فيها عن الدلالة الوضعية ثم الدلالة المجازية. وهكذا تأصل علم البلاغة رويداً رويداً إلى أن وصل إلى ابن رشيق القيرواني (ت 456هـ) في كتابه "العمدة في محاسن الشعر وأدابه"، وذكر ألواناً وأبواباً كالمطابقة والتمثيل، وصولاً إلى عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) وأقام هذا العلم على أسس مبنية من خلال كتابيه "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز" وقد تحدثنا عنه سابقاً في وضع علمي المعاني والبيان. ولا ننسى الزمخشري الذي ألف كتاب "أساس البلاغة" وبين في مواد استعمالات مواد العربية وتطورها الدلالي بطريق المجاز وصولاً إلى العملاق (السكاكي) في كتابه "مفتاح العلوم" حيث تحدث فيه عن علوم اللغة العربية كعلم النحو والصرف وعلوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع وعلم الاستدلال) وصولاً إلى (ابن الأثير الجزري) (ت 637هـ) الذي ألف كتاب "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، وجاء في القرن الثامن الهجري، (القزويني) (739هـ) ولخص كتاب مفتاح العلوم وأضاف فيه شواهد وأمثلة وسمّاه "تلخيص المفتاح" ثم ألف كتاب "الإيضاح" ضمنه خيرة ما جاء عند عبد القاهر الجرجاني والسكاكي.

4- نماذج من تفاسير علوم القرآن التي أصّلت للدرس البلاغي

بداية نتعرف على المعنى اللغوي والاصطلاحي.

أ- لغة: جاء في لسان العرب: "فَسَّرَ، الفُسِّرُ: البَيَانُ، فَسَّرَ الشَّيْءَ يُفَسِّرُهُ بالكسر وَيَفْسِرُ بالضم فَسْرُهُ، وَفَسْرُهُ والتفسير مثله، ابن الأعرابي: التفسير والتأويل والمعنى واحد قوله عز وجل (وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) الفُسْرُ كشفُ المعنى، والتفسير كشفُ المرادِ عن اللفظ المشكل والتأويل رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر واستفسرله كذا أي سألته أن يُفسِّرَ لي" (منظور، 2010، صفحة 180)

ب- اصطلاحاً: يعرفه الزركشي: "التفسير علمٌ يعرف به كتاب الله المنزل على نبيينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وبيان معانيه واستخراج أحكامه واستمداد ذلك من علم النحو والصرف والبيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ" (الزركشي، 2006، صفحة 22)

4-1- التعريف بالمؤلف

بداية نتعرف على مؤلفه، هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، ولد بزمخشروهي قرية كبيرة من قرى خوارزم، وإليها ينسب وقد ورد بغداد غير مرة وأخذ الأدب عن أبي الحسن بن المظفر النيسابوري ومحمود بن جرير وسمع من أبي سعد وشيخ الإسلام أبو منصور الحارثي، سافر إلى مكة وجاور بها زماناً فقليل له: جار الله، وكانت إحدى رجليه مقطوعة، كان شديد الذكاء متوقد القريحة وكان إماماً

في التفسير والحديث وعلم البيان، يشد إليه الرحال وترك تصانيف كثيرة يربى عددها الثلاثين منها "الكشاف في علوم القرآن"، لم يصنف قبله مثله، وعليه قالوا نقلا عنه: "لولا الكوسج الأعرج لبقى القرآن بكرراً" الكوسج هو الذي لحيته على ذقنه لا على العارضين، ومن تأليفه "أطواق الذهب في المواعظ والأدب" و"الرائض في علم الفرائض" و"الأنموذج في النحو" و"القسطاس في العروض" و"الأساس في البلاغة" وهو أعظمها، وكان إلى جانب ذلك شاعرا لطيفا أما عقيدته فكان معزلياً. توفي -رحمه الله- في جوجانيا بخوارزم بعد رجوعه من مكة. (الزمخشري، صفحة 85)

2-4- التعريف بالكشاف: عن حقائق وغوامض التنزيل عيون الأقاويل في وجوه التأويل

للزمخشري كتاب ضخيم تصدى فيه لتفسير جميع سور القرآن، انتهى من تأليفه (في ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر في عام ثمانية وعشرين وخمسمئة هجرية) (الزمخشري، الكشاف، صفحة 825). وأمضى في تأليفه سنتين وثلاثة أشهر، وهي مدة خلافة أبي بكر كما ذكر في المقدمة. وكان مقيما في مكة المكرمة مجاوراً للحرم ولذلك سمي جار الله. (الزمخشري، الكشاف)

أ- الغاية من تأليف كتاب الكشاف

بداية ذكر أنه ألفه بناءً على طلب مجموعة من المعتزلة يريدون كتابا يكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل. وأنهم قد إختاروا له الاسم سلفا فوافق بعد تردد حيث إنه كان قد أملى عليهم مسألة في الفواتح وقسما من حقائق سورة البقرة وكان الكلام مسبوفاً موسعاً فأعجب به الناس. ولكنه عند مجاورته للحرم المكي ثانية طلب منه الشريف الأمير أبو الحسن على بن حمزة بن وهاز فباشرتأليفه، وقد أقبل على التفسير بثقة وعزم فلجأ أحيانا إلى الاختصار. (الزمخشري، الكشاف، صفحة 175).

ب- منهجه في تأليفه

رکز على الجانب البلاغي فلا يجد فرصة إلا ويوضح فيها إعجاز القرآن الكريم من حيث دلالة الألفاظ والكلمات والتراكيب وبالتالي لم يهتم بالقصص والخرافات ولا بالإسرائيليات فتعرض للشرح اللغوي للكلمات في حدود ضيقة توضح المعنى البلاغي والاعجازي للقرآن الكريم، كما تعرض لقراءات بالجرح والنقد.

ج- مادة الكشاف

كان الزمخشري -رحمه الله- موسوعة مطلعاً على ما ألف قبله من كتب في التفسير والفقه والحديث والقراءات، والشعر الجاهلي، والشعر الإسلامي والأموي. وكان له قدر على الاختيار الجيد منه، واستقى مادة الكشاف من كتب تفاسير علماء المعتزلة الذي سبقوه كتفسير مجاهد وأبي عمرو بن عبيد. (الزمخشري، الكشاف)

كما تأثر بالزجاج ونقل عنه كما نقل عن الروماني وروى عن أبي طالب وجعفر الصادق ومصحف أبي ومصاحف أهل الشام. ونقل عن كتب سيبويه وكتاب (اصلاح المنطق) لابن الشكيب والكمال للمبرد كما نقل عن تفسير البيهقي والحيوان للجاحظ.

5- نماذج تطبيقية حول ما ورد في كتاب الكشف لبعض فنون البلاغة التي أسهمت في تأصيل البلاغة

1-5- أمثلة حول فكرة الوصل والفصل

يقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ " البقرة -06- فإن قلت: لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله: " إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (13) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (14) " الانفطار وغيره من الآي الكثيرة؟ قلت: ليس وزان هاتين القصتين وزن ما ذكرت: لأن الأولى فيما نحن فيه مسبوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين، وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيتن فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب على حرف لا مجال فيه للعاطف. (الزمخشري، الكشف، صفحة 46)

2-5- مثال على الإحالة الخارجية (المقامية)

وهي إحالة خارج النص، أو بغير مذكور تفسر بالمقام الخارجي كقوله تعالى " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (10) " آل عمران والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعن ابن عباس هم قريضة والنضير" (الزمخشري، الكشف، صفحة 340)

والمحال إليه في هذا السياق لا يمكن فهمه من النص، بل خارج النص، والأمثلة عديدة حول الإحالة الداخلية (النصية) والإحالة القبلية والإحالة البعدية، لا يسمح المقام بذكرها جميعا.

3-5- مثال على الحذف

أ- حذف الحرف: حذف ألف ما الاستفهامية في قوله: " عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (01) " النبأ، يقول الزمخشري، (عَمَّ) أصلها (عَمَّا) على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية والاستعمال الكثير على الحذف وأصل قليل ومعنى الاستفهام تفخيم الشأن. (الزمخشري، الكشف، صفحة 683)

ب- حذف واو العطف: قال تعالى " قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (63) " القصص يقول الزمخشري: "واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الأولى" (الزمخشري، الكشف، صفحة 426). ويشيد الإمام الزمخشري بالحذف كونه يزيد البلاغة ذوقا فيقول: "واينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في إيهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع إيضاحه" (الزمخشري، الكشف، صفحة 651)

4-5- مثال على مناسبات ترتيب السورة الواحدة

ورد في كتاب الكشاف مناسبة آية بينها وبين الآية التي تناسبها أربع عشرة آية لقوله تعالى: " وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (25) " الكهف، يقول الزمخشري: "(ولبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا) يريد لبثهم فيه أحياء مضروباً على آذانهم هذه المدة، وهو بيان لما أحمل في قوله (فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً) ومعنى قوله تعالى (قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا إِنَّهُ أَعْلَمُ مِنَ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِمْ بِمُدَّةِ لَبْثِهِمْ، والحق ما أخبرك الله به)". (الزمخشري، الكشاف، صفحة 716) والأمثلة التي ساقها حول المناسبة في الفاصلة والتناسب في الحذف والذكر والتناسب بين آيات السورة الواحدة والتناسب بين مقدمة السورة وخاتمتها والمناسبة الخارجية كثيرة جداً اكتفيت بهذه الأمثلة.

5-5- مثال على التكرار

نذكر نماذج حول التكرار، لتكرار اللفظ والمعنى بنوعية الموصول والمفصول.

فمثلاً الموصول هو: وهو الذي يأتي على وجوه متعددة، إمّا تكرار كلمات في سياق لآية مثل قول >> هيهات، هيهات لما توعدون>> سورة المؤمنون 36 أو الأداة أو الآية كقوله >> إِنَّ مع العسريسر (5) إِنَّ مع العسر يسرا>>.

والتكرار المفصول الذي يأتي على صورتين إمّا تكرار في الصورة نفسها لقوله تعالى >> ويل يومئذ للمكذبين>> سورة المرسلات الآية (5) تكررت في سورة المرسلات عشر مرات وتكرر قوله تعالى >> فبأي آلاء ربكما تكذبان>> سورة الرحمن الآية (13) تكررت 31 مرة، والنماذج عديدة والتكرار له فوائد بلاغية جمّة، يقول عنه الزمخشري >> فإن قلت ما فائدة التثنية والتكرير؟ قلت النفوس أنفرشيء عن حديث الوعظ والنصيحة، فما لم يكرر عليها عوداً عن بدءٍ لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله، ومن صم كانت عادة رسول الله - ص — أن يكرر عليهم ما كان يعرض به وينصح ثلاث مرات وسبعاً، ليركزه في قلوبهم ويغرسه (الزمخشري، الكشاف، صفحة 123)، والتكرار له وظائف بلاغية تهدف إلى تدعيم النسق النصي من خلال ربط الوحدات وهذا ما نادت به لسانيات النص في عصرنا هذا لأن له دوراً فعالاً في الانتقال من الجملة إلى النص كما كانت له صولات وجولات في أسباب النزول وفوائدها وفي المعايير المكي والمدني وربط ذلك بالبلاغة واعتبار المخاطب واعتبار الزمان وكذلك الشأن في النسخ وكيفية النسخ وشروطه ولا يسعنا المقام أن نذكر الإيهام وما قاله علماء البلاغة والقرآن وما أوردوا من أمثلة عديدة مثلاً يكون قصد الستر عليه ليكون أبلغ من استعطافه نحو قوله >> ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا >> البقرة 204 نزلت في حق الأخنس بن شريق وقد أسلم بعد وحسن إسلامه وذكر العلماء أنواع الإيهام في القرآن وقسموها باعتبار حكمها الشرعي الى قسمين:

أ- مهمات لا يجوز البحث عنها وهو ما اختص الله تعالى بعلمه دون خلقه فهو من الغيب لقوله تعالى >> وآخرين من دونهم لا يعلمونه الله يعلمهم>> الأنفال 60.

ب- ومهمات يجوز البحث عنها بشرط أن تعرف بالطرق الصحيحة الذي يتمثل في نقل القرآن أو السنة الصحيحة أقوال الصحابة المعاصرين لأحوال الوحي والتابعين الذين حملوا العلم عنهم. كما ذكر نوعا من المهم عن أسماء أبناء الأنبياء وأزواجهم وآباءهم لقوله تعالى >> ونادى نوح ابنه >> سورة هود 41 لم يبين القرآن اسم ولد نوح وهو ابنه الرابع. أما إذا تأملنا الشيخ الزمخشري لهذه الآية فإنه لا يصحح بأن اسم ابن نوح ويقول >> قيل: كان اسم ابنه، كنعان، وقيل، يام أن يكون ربيبا له >> (الزمخشري، الكشاف، صفحة 308)

وخلاصة القول، سوف يظل القرآن الكريم المعين الذي لا ينضب بالدلالات والمعاني المتجددة والبيان السامق والبديع الرائع الذي يبحث عنه الباحثون من أرباب البلاغة واللغة والنقد والشعر والنثر، بل سيظلون يستنطقون نصوص القرآن بكل شغف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وستظل البلاغة علم يعنى بالمعنى وطرائق إيصاله إلى السامعين. ولن تندثر علومها ونجومها التي تمتد من القرن الثاني هجري إلى يومنا هذا وستبقى عالية المقام مهمة بالوجوه المختلفة بالمعنى في المفردات والتراكيب وهذا ما يعترف به المختصون من العرب وغير العرب كونها نظرية أكبر من بنيوية على حد تعابير اللسانيين المحدثين أما الخلافات القائمة بين أئمة الأدب حول استحسان المعاني أو استهجانها فلا يفسد للود قضية وكل التحية لعلمائنا الأمجاد - رحمهم الله - ممن بدأوا تدوينها كأبي عبيدة بن عمر بن المثنى في كتابه "مجاز القرآن" والجاحظ في "اعجاز القرآن" والبيان" وابن المعتز في كتابه "البديع" وغيره. ويكفي أن أذكر هذه الشهادة للباحث عبد العزيز حمودة >> كل ما أردنا إثباته لهذه الوقفات الطويلة والنماذج العديدة أن كل معطيات علم اللغة كما طوره دي سوسير لم تكن فتحا جديدا وكان يجب أن تكون كذلك بالنسبة للمثقف العربي لو أنه في حماسه للتحديث وانهياره بمنجزات العقل الغربي لم يتجاهل تراثه العربي>> .

ويضيف إضافة تهز القلوب وتنعش النفوس قائلاً: >> أرفض قطعاً أن أظل علامة ثقافية هائمة تسبح حسبما يقذفها التيار ويطلب منها أن تستقر في نهاية المطاف فوق شاطئ دي سوسير وشتراوس وباكيسون وبارت ودريدا، بل حتى هيرسل وهایدجر. بينما شطآن الجاحظ وقدامة بن جعفر وابن طباطبا العلوي وعبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني قريبة أقرب مما يتصور الكثيرون من العقل والقلب. (حمودة، أوت 2001، صفحة 275).

6- خاتمة

في ختام مقالي توصلت إلى بعض النتائج التي ربما تكون إضافة وإضاءة واسهاماً يعالج أشرف وأرفع وخير العلوم، تلك العلوم القرآنية التي أسهمت في تأصيل الدرس البلاغي العربي، ومنها:

1- بداية اخترت بعض الأبيات للشاعر الكبير حافظ إبراهيم -رحمه الله- هذه الأبيات ردّ كافٍ وشافٍ على بعض الأدعياء الذين يهاجمون البلاغة العربية ولغة القرآن بل يهاجمون القرآن نفسه:

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضاقت عن أي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن
فهل سألوا الغواص عن صدقاتي
إلى معشر الكتاب والجمع حافل
بسطت رجائي بعد بسط شكاتي
فإمّا حياة تبعث الميّت في البلى
وتُنبت في تلك الرموس رُفاتي
وإمّا مماتٌ لا قيامة بعده
ممات لعمرى لم يقس بممات

1- لا ينكر فضل علوم القرآن إلا جاحد ومنكر للجميل في تأصيل الدرس البلاغي، ولولا القرآن لما كانت هناك بلاغة ولا مباحث فيها ولا في غيرها من العلوم اللغوية، وأنا أقول دائماً لزملائي: "والله لولا فضل الله ثم فضل القرآن لما كنّا أساتذة في الجامعات"، وهذه من نعم الله التي يجب أن نشكره عليها، ناهيك عن فوائدها الجمّة.

2- نشأت البلاغة تحت راية القرآن والبحث في إعجازه حتّى أصبحت علماً مستقلاً بذاته.

3- نبارك جهود العلماء على مرّ الزمان خاصة لما انتقلوا من تأثير النشاط العقلي الذي حرّكه الإسلام إلى تعديل الظواهر وتأسيس العلوم.

4- عناية العلماء قديماً وحديثاً بالقرآن في أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز وتبيين الحدود تعليل الوجود لتلك العلوم.

5- لا غضاضة في اختلاف العلماء الذين انقسموا بين:

- من يستمد الآراء والمناهج من التراث ويستنبط منها القواعد ويقوم بتطويرها لإثراء الدرس البلاغي.
 - منهم من يخالف بعض القواعد الموروثة، وله الحق ولكن بشرط أن يأتي بالحجة والدليل ولكل مجتهد نصيب.
 - منهم من يطعم الموروث القديم بالنظريات البلاغية المعاصرة، كمثّل الأساتذة: على العماري وأحمد حسن الزيات وأمين الخولي وأنيس المقدسي، وهؤلاء وغيرهم يشكرون على مجهوداتهم.
 - فتح باب الاجتهاد بشرط توفر الآليات، وقد ورد في الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه أبو داود وابن ماجه >>فإن اجتهد وأصاب فله أجران، وإن اجتهد وأخطأ فله أجر<< الراوي عمرو بن العاص والمحدث الشوكاني.
 - 6- عدم غمط الإرث البلاغي الذي تركه لنا علماؤنا الافذاذ، بل يجب إبراز جهودهم ومنهجهم التي اعتمدوا عليها ليطلع عليها الجيل الحاضر والمستقبلي -بإذن الله-.
 - 7- تمكين القراء والطلبة في مختلف أقطار العالم الإسلامي من الوقوف على أسرار الإعجاز القرآني وجماله وذوقه الرفيع وروعة الأحاديث النبوية والتعرف على فصاحة النبي -صلى الله عليه وسلم- وادراج الآيات والأحاديث في المناهج التعليمية
 - 8- التعريف بمنجزات علماء البلاغة حسب ما يقتضيه عصر التكنولوجيا بلغة ميسرة وجذابة من خلال كتب إلكترونية.
 - 9- الردّ على المهاجمين للدرس البلاغي الذين يصفون البلاغة بالعقم والجمود بعلم وحجج وأدلة واعتماد منهج تكاملي يراعي السياق والمقام والمتكلم والبيئة.
 - 10- تقديم دروس بلاغية عبر الفضاءات والقنوات بأسلوب عصري ولغة سهلة.
 - 11- بعث وإحياء دور المجامع اللغوية ومطالبتها بتخصيص دراسات بلاغية تقوم في مجال النحو والصرف.
 - 12- إعادة قراءة كتب ومقالات علمائنا الجزائريين كالشيخ العلامة البشير الإبراهيمي -رحمه الله- الذي يُعدُّ رائد مدرسة الصنعة اللفظية، والعلامة عبد الحميد بن باديس خاصّة في مجال الدرس البلاغي وتفسير القرآن الكريم وغيرهم من العلماء -والله ولي التوفيق-.
- 7- قائمة المراجع
- البغا، م. د. (2018). إصدارات دار الايمان.
- الرافعي. (1973). *إعجاز القرآن*. بيروت: دار الكتاب العربي.
- الزرقاني، م. ع. (n.d.). *مناهل العرفان في علوم القرآن* (3 ed.). سوريا: طلعة عيسى البابي الحلبي.
- الزركشي، ب. ا. (2006). *البرهان في علوم القرآن*. دار الحديث.

- الزمخشري (n.d.). *أساس البلاغة*. بيروت، لبنان: دار صادر.
- الزمخشري (n.d.). *الكشاف*. بيروت، لبنان.
- السيوطي (1985). *الإكليل*. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- العدوس، ي. م. (n.d.). *مدخل الى البلاغة العربية: علم المعاني، علم البيان، علم البديع*. (1 ed.) عمان، الأردن: دار المسيرة.
- المبارك، م. (n.d.). *الموجز في تاريخ البلاغة*. المغرب: دار الفكر.
- الهاشمي، أ. أ. (n.d.). *جواهر الغاية في المعاني والبيان والبديع*. (2 ed.) ح. النجار (Ed.) مصر.
- أمين، ب. ش. (1975). *التعبير الفتي في القرآن*. بيروت: دار الشروق.
- بابل، ج. (2018). *معنى علوم القرآن*. العراق: كلية الدراسات القرآنية.
- بناني، م. أ. (n.d.). *المدارس اللسانية في التراث العربي*. الجزائر: دار الحكمة.
- جميل، ع. (n.d.). *أثر القرآن الكريم على اللغة العربية*.
- حمودة، ع. أ. (أوت 2001). *(المرايا المقعرة: نحو نظرية نقديه عربية (سلسلة المعارف)*. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- عاشور، أ. (1984). *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر.
- قليلية، ع. ع. (n.d.). *البلاغة الاصطلاحية*. (4 ed.) القاهرة، مصر: دار الفكر العربي.
- محمد، أ. ق. & محي الدين، د. (2008). *علوم البلاغة، البديع والبيان والمجاز*. طرابلس، لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب.
- منظور، أ. (2010). *لسان العرب*. دار الفكر: بيروت، لبنان.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

قسوم يوسف ، (2024)، علوم القرآن واسهاماتها في تأصيل الدرس البلاغي لدى علمائنا القدامى والمحدثين ، مجلة أنسنة للبحوث والدراسات، المجلد 15 (العدد 2)، الجزائر: جامعة زيان عاشور الجلفة، ص.ص 145-161.